مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 13، العدد 3، (السداسي الثاني 2021م)، ص. 503- 526

الأبعاد الدلالية لمطلع سورة الضحى : دراسة تطبيقية

The semantic meanings of the beginning of Surat Al-Duha An Empirical Study

سمية الكردي*
جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة،
sumaya.l.a2018@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/28 تاريخ القبول: 2021/04/25 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص :

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أهمية علم الدلالة في فهم النصوص عامة، ولاسيما فهم القرآن الكريم والذي يؤدي من خلال ذلك إلى الفهم عن الله تعالى ، وهو محاولة لدراسة واستنباط الدلالات المختلفة في مطلع سورة الضحى، ولطول الموضوع فقد اشتمل على إلمحات إلى ستة أنواع من الدلالة وذلك ضمن خطة منهجية واضحة، وهذه الدلالات الست هي:الدلالة المعجمية، والدلالة النحوية، البلاغية، السياقية، الصوتيه، والنفسية.

منهجية الدراسة : يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي من خلال استقراء أقوال المفسرين لاستنباط دلالات الآيات المختلفة. والمنهج التحليلي وذلك من خلال النظر في مطلع السورة وتحليل أقوال المفسرين وربط بعضها بالبعض، والتعليق عليها في بعض المواضع ضمن ضوابط التفسير المعروفة.

النتائج : أبرز البحث أهمية علم الدلالة في تفسير القرآن الكريم وما انطوى عليه من قدرة في استنباط معان القرآن الكريم وبين أننا في حاجة إلى أكثر لاستخدامه في استنطاق معاني القرآن الكريم، كما أبرز معان جليلة عظيمة ضمها مطلع سورة الضحى في مختلف أنواع الدلالات.

الأصالة : تظهر أصالة هذا البحث لتعلقه بتفسير القرآن الكريم، ولأنه تناول مطلع سورة عظيمة من سور القرآن الكريم، ويعتبر نواة للباحثين تبين أهمية استخدام هذا العلم في تفسير القرآن من خلال التطبيق العملي وتقديم نموذج قابل للتطبيق .

الكلمات المفتاحية : دلالات؛ مطلع سورة الضحى؛ دراسة؛ تطبيقية .

* المؤلف المرسل

Abstract :

This research aims to shed light on the importance of semantics in understanding the texts in general, especially the understanding of the Noble Qur'an, which leads through this to an understanding of Allah Almighty words.

It deals with studying and deriving the various indications at the beginning of Surat Al-Duha, and because the topic is longer than what can be be in a short research, I alluded to six types of semantics within a clear methodological plan, and these six meanings are: The lexical, grammatical, rhetoric, context, Phonological, then psychological

All that is through extrapolating the interpreters' conclusions of these indications and their allusions to it in their books, commenting on them and weighing them as much as possible, all in accordance with the rules of interpretation considered by the scholars .

Keywords: semantics; beginning; Surat Al-Duha; study; application .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

بسم الله الرحمن، أنزل القرآن، ذروة البيان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، الرسول النبي الأمين محمد بن عبد الله -ﷺ-وعلى أصحابه الغُرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد

فالحديث عن بلاغة القرآن يطول ولكن حسبنا أن نقول: إنّ من كل شيء أُمّة، وأُمّة الكتب القرآن، ختم الله به الوحي من السماء، وكلّل به سعي الأنبياء، حوى علم الأولين والآخرين، ويكفينا قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾ [الكهف : 109] .

لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، والعربية لغة تعددت فروع علومها، وأحد هذه الفروع علم الدلالة الذي بدأ الدرس فيه منذ القرن الثالث الهجري وإن اختلفت الاصطلاحات والمسميات، وهو عند المحدثين فرع من علوم اللغة مستقل، وهو أهم الفروع وأعقدها وأمتعها في الآن ذاته، وتنبع أهميته لكونه يبحث في المعنى، وعلم المعنى هو المرادف لعلم الدلالة الذي هو الوظيفة الرئيسية لأي لغة من اللغات، ويُعد من أعقد الفروع لتشعب موضوعاته، ومن أمتعها لما يوفر للباحث فيه من متعة عقلية نفسية راقية رائقة.

وعلم الدلالة يحوي جانبين أحدهما يشتمل على النحو والصرف والبلاغة، والآخر على علم المعاجم وعلم اللغة النفسي والاجتماعي؛ وماسأتناوله في هذا البحث هو إضاءات دلالية حول مطلع سورة الضحى من جميع الجوانب المذكورة.

سبب اختيار الموضوع وأهميته :

ويأتي سبب اختياري لمطلع هذه السورة الكريمة أنموذجا لهذا الموضوع؛ لما لهذه السورة من أهمية ودور كبيرين في الدعوة وهي في مستهلها، ولما كان لها من الأثر العظيم في تثبيت قلب النبي ﷺ، وتسليته، والتسرية عنه في وقت تعرض له إلى الأذى وهو حديث عهد بالوحي، ولقد كان لدي حدْس خاص لهذه السورة وتعلّق بها دعاني لاختيارها! وقد صدق ظني حين البحث؛ فقد اشتمل مطلع السورة الكريمة على معان لغوية بلاغية بديعة ولفتات نفسية واجتماعية عظيمة -شأنه كسائر القرآن الكريم-، تجلى كل ذلكّ من خلال التطواف والنظر في كتب المفسرين المتقدمين والمتأخرين رحمهم الله وطيب على مر الأزمان ثراهم.

ولا غرو أن سورة الضحى باسمها وموضوعها ومحورها سورة عظيمة، كلها خاصة وخالصة لرسول الله ﷺ، ذات أثر نفسي بليغ عليه ﷺ وعلى من يتلوها بعده، فهي بمثابة لمسة حنان، وتربيتة عطف على كتفيه ﷺ- إن صح التعبير- هي سورة ذات ألقٍ وضِيء، تتدفق مظاهر الرعاية الإلاهية في جميع جوانبها، ولا يسعك وأنت ترتلها إلا أن يسري ذلك الدفء والحنان إلى جوانحك، وأن تستشعر إحاطة العناية الربانية بك، فتجد فيها وعدا من الله ماثلا أمام عينيك؛ بأن يجبر كسرك، ويؤنس وحشتك، ويغني فقرك، ويداوي جرحك، ويسد حاجتك ؛ فتهدأ روحك، ويطمئن قلبك، وتسكن نفسك، فيها حديث شجيّ خاص بين العبد وربه، لا يمكن لأحد أن يفهمه سواه، إنها السورة الوضيئة وحسب، إنها سورة الضحى.

وفي هذا البحث سأتناول دلالات مطلع سورة الضحى وأقصد بالمطلع الآية الأولى والثانية، وهو قول الله جل وعلا : (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) [الضحى1-2] حيث سأعرض دلالاتها الست بإذن الله، وقبل عرض دلالات اللفظة لابد من الإلماح إلى تعريف علم الدلالة بمجمله دون إسهاب ممل أو اختصار مخل؛ فالهدف هو أن يكون القارئ على بينة قبل تناوله للدلالات المختلفة في الآيات الكريمة .

حدود الدراسة:

سأتناول في هذا البحث بإذن الله تعالى بعض دلالات مطلع سورة الضحى وسوف أوضحها في منهج البحث أدناه .

منهجية البحث:

لقد سلكت في بحثي هذا منهجين وهما:

1- المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال استقراء استنباط المفسرين للدلالات المختلفة في مواضعها .

2- والمنهج التحليلي وذلك من خلال النظر في مطلع السورة وتحليل أقوال المفسرين وربط بعضها بالبعض، والتعليق عليها في بعض المواضع بما ارتأيته ضمن ضوابط التفسير المعروفة.

الدراسات السابقة :

بعد التقصي والبحث فقد تعددت الكتابات حول تفسير سورة الضحى ولكني- والله أعلم- لم أقف على من كتب في الأبعاد الدلالية لمطلع سورة الضحى.

خطة البحث : لقد انتظم هذا البحث في ستة محاور تبتديء بمقدمة وتمهيد .

التمهيد فيه بيان أهمية علم الدلالة والتعريف به.

المحور الأول : واشتمل على الدلالة المعجمية.

المحور الثاني : واشتمل على الدلالة: النحوية.

المحور الثالث : واشتمل على الدلالة:البلاغية.

المحور الرابع : واشتمل على الدلالة السياقية.

المحور الخامس : واشتمل عى الدلالة الصوتية.

المحور السادس : واشتمل على الدلالة النفسية.

ثم أردفت ذلك بخاتمة حَوت أهم نتائج البحث والتوصيات، يليها فهرس المصادر والمراجع .

تمهيد :

بما إن موضوع البحث هو دلالات مطلع سورة الضحى فإن من الضرورة بمكان التعريف بالدلالة وبيان أهميتة، وموضوع علم الدلالة، فأقول وبالله التوفيق :

الدلالة لغة[1]:

قال ابن فارس: الدَّال وَاللَّام أَصْلَان (دَلّ) : أَحَدُهُما إِبَانَةُ الشَّيء بِأَمَارَة تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخر اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْء.

وقال الراغب : وأصل الدّلالة مصدر،كالكتابة والإمارة، والدّالّ: من حصل منه ذلك، ثم يسمّى الدّالّ والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره".

وقال الزمخشري : دلّه على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها، وأدللت الطريق: اهتديت إليه.

قال ابن منظور : "دَلَّ فُلَانٌ إذا هَدى، والدَّلُّ: قريب المعنى من الهديْ وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك".

وتدور اللفظة (دلّ) في ضوء المعاني المعجمية حول : السمت والهداية، والاضطراب والإرشاد، أو معرفة بالطرق لإرشاد الناس إليها به وهو الذي يعنينا في هذا البحث.

والدلالة اصطلاحا :

قال الراغب : "وفي الاستعمال القرآني الدّلالة : ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة؛ أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، وعرفها الجرجاني بأنها : "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"، وعرفها أحمد مختار : "العلاقة بين الرمز والصورة" أو "دراسة المعنى" أو "العلم الذي يدرس المعنى" أو "علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى". ويسمى علم المعنى، والسيمانتيك (الإشارة والرمز).

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين** تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، 8/8، وأحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، 259/2. الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- الدار الشامية، دمشق-بيروت، 1412 هـ، ط1 ص 317. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،11419 هـ - 1998 م، ط1، 1، 1/ 295 وابن منظور، محمد بن مكرم بن على، **لسان العرب**، دار صادر ، بيروت-لبنان، 1414 هـ، ط3، 11،11/ 247.

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة وهي : أن الدلالة ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء بالعلامات سواء أكانت العلامات لغوية أم غير لغوية.

أهمية الدلالة :

ولا يخفى بطبيعة الحال ما لعلم الدلالة من أهمية عظيمة في أي لغة كانت؛ ولاسيما في لغة القرآن، وبالأحرى في تفسير القرآن الكريم، وخاصة في ظل المعنى المتحصل لنا من تعريف الدلالة وهو: علم دراسة المعنى، هذا فيما يتعلق بأي نص من النصوص، فكيف إذا كان النص الذي نهدف إلى دراسته هو كتاب الله تعالى! والمعنى المراد الوصول إليه هو معنى مراد الله تعالى في كتابه! لا شك أنّ ذلك يبرز أهمية وضرورة دراسة علم الدلالة بشكل كبير.

وعلم الدلالة يتجه لدراسة أنواع الدلالات المختلفة في النصوص، وكل دلالة تؤدي دورا مستقلا وتنتج من اللفظ ذاته معنى جديدا وهنا تكمن أهمية هذا العلم.

وإن جاز لي أن أصور مفهوم الدلالة القرآنية بتصويري الخاص فقد أقول : إننا حين نقرأ القرآن الكريم فإننا نقرأ ألفاظا وتراكيبا؛ ولكن ما يصلنا ليس اللفظ فحسب وإنما هو مزيج تمتصه الحواس جميعها فيقنع العقل والفكر من اللفظ، وينفعل القلب بالمعنى ويسرح فيه الخاطر والخيال؛ ويدغدغ الشعور والوجدان حتى نكوّن من تلك التراكيب صورة ذهنية متكاملة تتحرك أمامنا في مشهد مشبع بالحياة وفاعليتها.

أنواع الدلالة :

ذهب المختصون بهذا العلم إلى تقسيم الدلالة بطرق مختلفة ، وأورد هنا أنواع الدلالة على النحو الآتي :

أولها: الدلالة المعجمية :

وتُسمى (بالاجتماعية) : وهي تلك الدلالة التي حدّدتها كتب اللغة والمعاجم للمفردات حسب الاستعمال اللغوي الذي وُضعت فيه الألفاظ للمعاني[1]، ومنهم من جعل الدلالة المعجمية أساساً للدلالة الاجتماعية[2] لأنها تلك الدلالة التي وُضِعَت لمدلول (كلمة ما) ثم تحوّلت دلالتها بتغير الفهم الاجتماعي لها[3].

[1] شيماء عبد المجيد محمد زهران، **علاقة علم الدلالة بعلوم اللغة الأخرى**،(دط) ص:1.

[2] إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، ص48.

[3] محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة**، دار قباء ، القاهرة – مصر، ص: 129 – 132.

ثانيها: الدلالة النحوية :

وهي التي تتحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعاً معيناً في الجملة حسب قوانين اللغة[1].

الثالثة: الدلالة الصرفية :

وهي التي تأتي من الصيغة الصرفية البنائية للكلمة، حيث تفيد الصيغة معنًى جديداً زائداً على المعنى المعجمي[2]. وتعرف عند ابن جني بالدلالة الصناعية، وتأتي من حيث القوة في المرتبة الثانية وقد قال : "فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية"[3].

الرابعة: الدلالة البلاغية :

وهي معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[4]. وقد يطلق عليها الدلالة البيانية.

الخامسة: الدلالة السياقية :

وهي التي تأتي من بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة[5]، ويعرف السياق القرآني بأنه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[6]، وينقسم السياق إلى عدة أنواع: سياق القرآن، وسياق السورة، وسياق المقطع، وسياق الآية[7].

---

[1] عبد الكريم مجاهد، **الدلالة اللغوية عند العرب**، دط، ص194، وإبراهيم أنيس، دلالة **الألفاظ**، مكتبة الأنجلو، مصر، ط1، ص:48.

[2] إبراهيم أنيس **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5، ص47.

[3] ابن جني، **الخصائص** ، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب،بيروت-لبنان، ج3، ص 100.

[4] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد، **مفتاح العلوم**، ضبطه: نعيم زرزور، بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،1407 هـ - 1987 م) ط2، ص: 162.

[5] - عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير** (دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير)، رسالة ماجستير، إشراف: د.خالد بن عبد الله القرشي، جامعة أم القرى، 1429هـ- 2008م، ص:72.

[6] - عبد الفتاح محمود المثنى، **نظرية السياق القرآني**، دار وائل، عمان-الأردن، 2008م)، ص:15.

[7] -المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير**، ص:103. وما بعدها.

السادسة: الدلالة الصوتية :

وهي التي تستمد من طبيعة الأصوات التي تتألف منها الكلمة، ومن طريقة الأداء الذي يؤدَّى بها الكلام[1]، ومن مظاهر الدلالة الصوتية النبر، والفاصلة، والمناسبة الصوتية، والتنغيم، بالإضافة إلى الحكاية الصوتية[2].

السابعة: الدلالة النفسية :

وهي تلك الملامح والإشارات التي تنعكس على النفس الإنسانية، فتحدث فيها استجابة معينة نتيجة التأثر بالتعبير القرآني[3].

وقبل عرض دلالات مطلع سورة الضحى لابد من توطئة مختصرة حول سورة الضحى تُهيء للقارئ جوا مناسبا ومدخلا ينساب منه إلى رحاب دلالات الآيات لعلها تجد طريقا سهلا مذللا إلى قلبه وعقله.

لا شك إنّ المتأمل لسورة الضحى يجد أنها تحمل كثيرا من معاني الأمل والتفاؤل والرضا عن الله تعالى وأقداره، فقد كانت هذه السورة بمثابة بشارة للنبي ﷺ وللمؤمنين بعد مدة الوحي، وكانت ردا على من قال للنبي ﷺ:" إن ربك قد قلاك فأنزل الله تعالى : (والضحى، والليل إذا سجى) [الضحى1-2]

وقد وردت عدة روايات في أسباب نزولها أذكر منها ما رواه البخاري بسنده عن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ قال : " اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلة - أو ليلتين - فأتته امرأة فقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾" [4][الضحى: 1-2-3].

ولهذه السورة العظيمة مقاصد نعرّج على ذكر طرف منها :

1- إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي ﷺ قد انقطع عنه.

2-بشارة النبي ﷺ بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى.

---

[1] - إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ** ، ص46.

[2] - نادية رمضان النجار، **الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها**، نشر بكتاب المؤتمر العلمي التاسع لكلية دار العلوم، حلوان-مصر، 2003م، ص3.

[3] عبد الله محمد الجيوسي، **التعبير القرآني والدلالة النفسية**، دار الغوثاني، سوريا-دمشق، ط.1، 1426هـ-2006م، ص:42.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب نزول الوحي وأول مانزل، برقم (4983)،انظر: البخاري، محمد ابن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، تحقيق محمد زهير، دار طوق مع النجاة،ج: 6، ص 128.

4-وعد النبي ﷺ بعطاء يرضيه وفي ذلك نصرة له ﷺ على أعدائه وفي الوعد والبشارة ما يغيظ المشركين .

5-تذكير النبي ﷺ بما حفه به ربه جلّ وعلا من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله، وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله [1].

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ **[الضحى 1-11]** .

دلالات مطلع سورة الضحى :

المحور الأول: الدلالة المعجمية (اللغوية):

اشتمل مطلع سورة الضحى على القسم بظاهرتين رئيستين في الكون ألا وهما الليل والنهار، وقد انطوت كل واحدة من اللفظتين (الضحى-سجى) على جملة من الدلالات المعجمية اللغوية منها :

أولاً : لفظة الضحى: الظهور والبروز، يقال: ليل إضْحِيان، وأُضْحُيان إذا كَانَ مقمراً، وضَحِيَ الرجل للشمس يضحَى إذا برز لَهَا من قَوْل الله عز وجل :(وأنّك لا تظمؤ فيها ولا تضحى)ﷺ[طه:119] وأرض مَضْحاة إذا كانت الشَّمْس لا تكاد تغيب عنها، وضحى الشَّيْء، ظهر[2].

ثانيا: كذلك من دلالاتها أن الضحى وقت محدد من النهار بعينه وهو: صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقي أشعتها على الكون، قال الزمخشري:" وقت الضحى، وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقى شعاعها"[3]، وقال ابن منظور: الضُّحى: "حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها"[4]، وجاء في فقه اللغة وسر العربية في تعديد"ساعات النهار: الشروق، ثم البكور، ثم الغدوة، ثم الضحى، ثم الهاجرة، ثم الظهيرة "[5].

---

[1] ابن عاشور، **التحريروالتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ ، ج30، ص394 بتصرف يسير

[2] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 11987م، ط1، 2/ 1050. والقاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة، ودار التراث، 2 **56**.

[3] الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط.3، 1407 هـ ، 4/765.

[4] ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم ، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت-لبنان، ط.3، 1414 هـ ، **14475**.

[5] الثعالبي، عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط.1، 1422هـ - 2002، 1/ 215.

وعلى الراجح من أقوال المفسرين -والله أعلم-[1] أن الضحى المراد في الآية هو: وقت الضحى المعروف حيث ترتفع الشمس وتلقي بشعاعها ويصفو ضوؤها، وهو وقت صلاة الضحى وهو أكثر المعاني تناغما مع السياق وسيأتي مزيد من الإيضاح لذلك ضمن الدلالة السياقية بإذن الله .

ثالثا : ومن الدلالات المعجمية للفظة سجى: السكون[2] والإطباق، السَجْو والسُجُوّ في اللغة يدلان على سكون وإطباق، جاء في العين : "سجو: السُّجُوُّ: السُّكون وعينٌ ساجِيةٌ، أي فاترةُ النَّظر يعتري الحُسنَ في النساء، وليلةٌ ساجيةٌ: ساكنةُ الرِّيحِ غير مظلمة، قال الشاعر :

أحبذا القمراءُ والليلُ السّاج ... وطُرُقٌ مثل ملاء النساج[3]

وقال ابن منظور : "معناه: سَكَن وَدَامَ"[4]، وكذلك من دلالاتها الركود والظلمة، قال الفراء: إذا أظلم وركد في طوله كما يقال: بحر ساج، وليل ساج إذا ركد وأظلم[5]، وقيل غشِي النهار فغطاه[6]، قال الأصمعي : سجو الليل تغطيته للنهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب[7]. ورده الألوسي وقال: وهو خلاف المشهور .[8]

وبالنظر في المعاني المذكورة نجد أن اللفظة استعملت في أحد المعاني التي وضعت لها في اللغة وهو السكون على أرجح التفسيرات وسيأتي مزيد من التفصيل في الدلالة السياقية .

---

[1] للوقوف على الترجيح انظر إلى الدلالة السياقية من هذا البحث.

[2] قاله قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة. انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية ، القاهرة-مصر، 1384هـ - 1964 م، ط2، 20/ 91.

[3] الخليل، كتاب **العين** ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج:6 ص:162، وابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1،1987م. **جمهرة اللغة**،ج1، ص476

[4] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج14، 371.

[5] انظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر، ج3، ص 273.

[6] القاضي عياض، **عياض بن موسى، مشارق الأنوار**، ج2، ص 207.

[7] ابن منظور، **لسان العرب**، ج14، ص 371.

[8] الآلوسي، **روح المعاني**، ج 15 ص 373

المحور الثاني : الدلالة النحوية :

لقد حوى مطلع سورة الضحى عددا من الدلالات النحوية أذكر طرفا منها :

أولا: دلالة القسم في مطلع السورة :

جاء القسم في مطلع السورة الكريمة بقوله تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: 1-2]، وقد رُجح من خلال الدلالة المعجمية بأنّ المراد بالضحى هو الوقت المخصوص، وهو صدر النّهار وأشرفه- والله أعلم- وكذلك القسَم بجزء من الليل حال سجوّه أيْ: وقت سكون الناس وهدأة حركة الحياة، وذلك عند تناهي ظلامه وركوده، وقد أفاد القسم بهذين الوقتين على وجه الخصوص معنىً في غاية اللطف ألا وهو: " كما أن نور الضحى من النهار سبب في حياة الكائنات، فكذلك الوحي به حياة القلوب، وكما أن ظلام الليل وركوده سبب لسكون الحياة فكذلك هو أمر الوحي في حال فتوره وانقطاعه، وعليه فإن تناوبه بين النور والظلمة في كلا الوقتين لا يعني انقطاع أحدهما، وكذلك أمر الوحي في تناوبٍ بين استمرار وفتور يجري على سنن الله في الكون"[1].

ثانياً : أن كل موضع حُذفَ فيه منه شيء فالحذف فيه أبلغ من الذِكر من حيث المعنى فليس في القرآن حذف ألبس أو أخل"[2].

المحور الثالث : الدلالة البلاغية :

كذلك فقد زخر مطلع سورة الضحى بعدد من الدلالات البلاغية أذكر منها :

أولا : دلالة أسلوب القسم :

من المعلوم أن الغرض الأساسي للقسم هو التأكيد، ولكن المفسرين رحمهم الله تعالى ذهبوا في وجه دلالة القسم في صدر السورة بكل من لفظتي :"الضحى"، و"الليل" أنه عز وجل قد أقسم بهذين الوقتين من الزمان لشرفهما ولتعظيمهما؛ وهناك من رأى أن القسم له دلالة بيانية أوسع من معنى التعظيم ومن هؤلاء بنت الشاطئ، وقد ناقشت أقوال المفسرين وذكرت منهم على سبيل المثال الإمام ابن القيم رحمه الله، والإمام محمد عبده في العصر الحديث، واستدلت بقول ابن القيم حيث قال : "وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته"[3] فقالت: "إن أسلوب القسم هنا قد خرج من أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم إلى معنى بياني، على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له لملحظ بلاغي، فالواو في هذا

[1] ابن قتيبة، **غريب القرآن**، تحقيق: سعيد اللحام، ج1، ص 459بتصرف يسير

[2] الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص 767.

[3] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان ، 1415، 1994م ، ط1، ص 10

الأسلوب تلفت لفتا قويا إلى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل توطئة إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس، فالقسم بالواو غالبا أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية، وما يلمح فيه من الإعظام إنما يقصد به إلى قوة اللفت، واختيار المقسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف، وحين نتتبع أقسام القرآن في مثل آية الضحى نجدها تأتي لافتة إلى صورة مادية مُدركة وواقع مشهود، توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة غير مشهودة ولا مدركة، يماري فيها من يماري؛ فالقرآن الكريم في قسمه بالصبح إذا أسفر وإذا تنفس والنهار إذا تجلى، يجلو معاني من الهدى والحق أو الضلال والباطل بماديات من النور والظلمة، وهذا البيان للمعنوي بالحسي هو الذي يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن بالواو فتقبلها دون تكلف أو قسر في التأويل"[1].

وبرأيي أنها في قولها الذي ذهبت إليه لم تخالف ابن القيم رحمه الله تعالى رحمه الله بل وافقته والدليل على ذلك قوله: " فتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمدا ربه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمه واحتباسه واحتجابه، وأيضا: فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة فهذان للحس، وهذان للعقل، وأيضا الذي اقتضت رحمته أن لايترك عباده في ظلمة الليل سرمدا، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم، لايليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم، فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه، وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ والجلالة التي على معانيها"[2].

وبرأيي فكون القسم للتعظيم لا يختلف مع المعنى البلاغي المذكور عند بنت الشاطىء، والجمع بينهما أولى والله تعالى أعلم .

ثانيا : دلالة **الإسناد (المجاز العقلي) :** في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ **[الضحى:2]**

فقد قيل: إنّ الإسناد مجازي حيث أسند "السّجُوّ" -وهو السكون- إلى الليل مجازا والأصل أن ينسب السكون إلى أهله، قال الآلوسي رحمه الله:" والإسناد مجازي"[3].

---

[1] عائشة عبد الرحمن، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص26.

[2] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، ج 1، ص73. .

[3] الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص372

المحور الرابع : الدلالة الدلالة السياقية[1] :

تنبه العلماء قديما إلى أهمية السياق في تفسير القرآن الكريم، وأشاروا إلى قاعدة هامة ألا وهي: تفسير القرآن بالقرآن وتعرف في العصر الحديث بـ: المنهج السياقي الذي جعل للسياق الدور الحاسم في فهم النصوص، وتحديد الألفاظ، وضبط دلالاتها؛ فاللفظ لا تعرف دلالته إلا من خلال ربطه بما ورد من مفردات قبله وبعده، والسياق القرآني هو جزء من السياق بعمومه في معناه العام وقد قسمه البعض إلى أنواع: سياق القرآن، وسياق السورة، وسياق المقطع، وسياق الآية"([2]).

قال ابن القيم موضحا أهمية السياق: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته"([3])

وقد اشتمل مطلع السورة الكريمة على دلالات سياقية أذكر منها:

أولا : أبانت الدلالة المعجمية بأن لفظة (الضحى) تدور حول الظهور والبروز والوضوح، ولكن المفسرين ذهبوا إلى مذاهب عدة في المراد بالضحى المقسم به والمراد من الآية؛ فمنهم من قال: إن الضحى النّهار كله؛ قال به: مجاهد، واختاره الطبري والثعلبي رحمهما الله، وزاد الطبري قائلا: "أحسب إنه من قولهم: ضَحِيَ فلان للشمس: إذا ظهر منه"[4]، "ومنهم من ذهب إلى أن المرادبه: طلوع الشمس وممن قال: به قطرب، ومنهم من قال: إنّه أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس، قاله السدي، ومنهم من قال: أنه صدر النهار وقال به قتادة" [(5)].

واللفظة وضعت في اللغة لتتسع لجميع المعاني ولكن بعض المفسرين رجحوا بأن المراد بها هو وقت محدد من النهار، وهو ما عبر عنه قتادة: بصدر النهار وقد رجحه الزمخشري رحمها الله تعالى[6]، وأيدته بنت الشاطئ في التفسير البياني قائلة: " واللغة عرفت الضحى وقتا من النهار، وبه سميت صلاة الضحى لوقوعها فيه، والضاحية من الإبل التي تشرب ضحى يوم النحر، وهذا هو

---

[1] لمزيد من التفصيل حول الدلالة السياقية وأنواعها انظر: عبد الفتاح محمود المثنى، **نظرية السياق القرآني**، ص15. والمطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير**، ص103 وما بعدها.

[2] المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير**، ص103، وما بعدها.

[3] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ج4، ص9.

[4] الطبري محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج24، ص482.

[5] الماوردي، علي بن محمد، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ج6، ص291.

[6] عائشة عبد الرحمن، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ص29 ومابعدها

أصل الاستعمال فيما ذكر لسان العرب[1]" ولا يختلف المعنى المختار مع المعنى الأول (الظهور) بل إنه من دلالاته إذ إن وقت الضحى هو الوقت الذي تكون الشمس أظهر ماتكون فيه مع انبساط أشعّتها على الكون، وبهذا تكون اللفظة قد استعملت في محلها أيْ: فيما وضعت له في استعمال العرب والله تعالى أعلم.

أما في قوله (**وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**):"قيل المراد بسجى أي: أقبل قاله سعيد بن جبير، وقيل: إذا أظلم، قاله ابن عباس وقيل: إذا استوى قاله مجاهد، وقيل: إذا ذهب، قاله ابن عباس- ﷺ-"[2] واختاره أبو حيان وقال: أي أدبر[3].

وقال: الفراء أظلم وركد[4]، واختاره الزمخشري قال: "سكن وركد ظلامه، وقيل: ليلة ساجية: ساجية: ساكنة الريح. وقيل معناه: سكون الناس والأصوات فيه، وسجا البحر: سكنت أمواجه"[(5)] والقول الأخير اختاره النيسابوري وقال: هو من باب الإسناد المجازي[(6)].

وبالتأمل في التفاسير الواردة لكلا اللفظتين (ضحى) و(سجى) لعلّي أرجح أن المراد بالضحى هو ذلك الوقت المحدد من النهار الذي ترتفع الشمس في السماء وتنتشر أشعتها على الكون وهو الذي عبر عنه النيسابوري بقوله:" وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويظهر سلطانها"[(7)] وأن المراد بقوله : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ أي: إذا سكن وفتر، وهو ماذكره الراغب في مفرداته واختاره النيسابوري قائلا:" سكن واستقر ظلامه، ... ولا ريب أن سجوّ الليل وقت استيلاء الظلام منه لا كله فهو بمنزلة الضحى من النهار"[(8)].

وعبر عنه الشيخ محمد عبده بقوله: ضوء الشمس في شباب النهار ويستند هذا الترجيح على عدة أدلة وهي :

---

[1] عائشة عبد الرحمن، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ص30

[2] الماوردي، **أبو الحسن علي بن محمد**، النكت والعيون، **ج6، ص291.**

[3] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت-لبنان، 1420 هـ، ج10، ص459.

[4] الفراء، **معاني القرآن**، ج3، ص 273.

[5] الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص765.

[6] النيسابوري ، الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت-لبنان1416) ط1،6، ص 514.

[7] النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**،6، ص 514.

[8] النيسابوري الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**،6، ص 514.

أولاً: اللغة:

الضحى اسم وضعته العرب لوقت محدد من النهار واتسع استعماله ليشمل الأحداث التي تقع في هذا الوقت فيه سميت صلاة الضحى، وقيل: يوم الأضحى؛ وسمي به بجمع أضحاة وهي الشاة تذبح ضحى النحر، تقول بنت الشاطىء: " وإذا كان اللفظ لغة يحتمل أكثر من معنى على ماذكروا في الضحى وسجا فإن البلاغة لا تجيز إلا معنى واحدا في المقام الواحد يقوم به لفظ بعينه لا يقوم به سواه واللغة قد عرفت الضحى وقتا بعينه من النهار وبه سميت صلاة الضحى لوقوعها فيه وقالوا: ضحى فلان بغنمه إذا رعاها ضحى"[1].

وسجى: استعملته العرب لمعنى السكون فقيل طرف ساج، وليل ساج والسجواء هي الناقة إذا حُلبت سكنت، كما يجدر الأخذ بعين الاعتبار مقابلة لفظة سجى بلفظة الضحى فكما أن الضحى دلت على وقت محدد من المهار فكذلك سجى دلت على وقت محددمن الليل أيضا.

ثانيا: أساليب القرآن المطردة وهي ما تسمى بعادات القرآن :

استعمل القرآن هذا الوقت ظرفا للزمان ولوقت معين من النهار وتشهد لذلك آية الأعراف من قوله تعالى : ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[الأعراف: 98]، كذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾[طه: 59] ونلاحظ أنه سبحانه وتعالى حدد يوما للموعد وخص منه وقتا بعينه وهو قت الضحى، فدلنا ذلك على أنه أراد وقتا من النهار لا النهار كله .

وأود أن ألفتُ النظر إلى ماذكرناه في الدلالة البلاغية من أن القسم يحمل دلالة بيانية مفادها: أن الله تعالى أقسم بوقت الضحى ووقت من الليل يسكن فيه الناس، وكأن المعنى: لا عجب من انبثاق نور الوحي وتألق شعاعه بعد انقطاع وفتور؛ كما أنه لا عجب من تألق ضوء الضحى بعد سكون الليل وهدأته، فالأمر سيان وهو في تناوب على الدوام .

وفيما يتصل بالدلالة السياقية ذكر الرازي رحمه الله معان جديرة بالنظر والتأمل؛ ولولا طول المقام لذكرتها ولكني أحيل إليها لمن أراد الاستزادة وإتمام الفائدة[2].

وبالتأمل في المعاني التي أوردتها المعاجم للفظة "سجى" نجدها تدور بين معنى الظلمة والركود، والإقبال والإدبار والسكون؛ ولعل هذا الأخير هو المعنى الذي يتلائم مع كل مافي السورة من جو وسياق كما يؤيد ذلك مقابلته بالضحى ذلك الوقت المحدد من النهار، وجدير بالذكر أن

[1] عائشة عبد الرحمن، **التفسير البياني**، ج1، ص30.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج31، ص 191

لفظة سجى تُعدّ من فرائد القرآن حيث لم ترد مادة سجى في غير هذا الموضع من القرآن كله مما يدعو إلى مزيد نظر وعناية بها؛ وعليه فقد استعملت لفظ سجى في إحدى المعاني الأصلية التي وضعها العرب لها وهو: الوقت من الليل الذي يسكن فيه الناس، والأصوات، وتهدأ حركة الحياة فيه، والله تعالى أجل وأعلم .

المحور الخامس : الدلالة الصوتية :

كما ذكرت سابقا في تعريفها هي التي "تتأتى عن طريق الأصوات التي تتألف منها الكلمة، وكذا من صورة الأداء التي يؤدَّى بها الكلام أو الجملة"[1].

ومما يندرج تحت الدلالة الصوتية: الفاصلة، والمناسبة الصوتية، والتنغيم، بالإضافة إلى الحكاية الصوتية[2]، وقد اشتملت سورة الضحى على عدة دلالات صوتية نذكر طرفا منها:

أولا: الفاصلة:

تُعدّ الفاصلة القرآنية إحدى مظاهر الإعجاز القرآني الكريم، وأثر من آثار نظمه، ويُلحظ ذلك من خلال التناغم الصوتي العالي، والإيقاع الآسر الذي أعجز فحول شعراء العرب وأساطين البيان عن مجاراته أو مقاربته في لغته ونظمه وسبكه.

ومثل الفاصلة القرآنية القافية في الشعر ولكن الفاصلة تختلف عن القافية في الشعر والسجع حيث أُتى بالأخيرة كمحسن بديعي لإتمام للكلام وقد تُتكلّف تكلّفا بخلاف الفاصلة القرآنية التي تُعد جزءا من الآية؛ بل ترتبط بالكلام ارتباطا لا انفكاك لها عنه فهي متممة له؛ بل مفصحة غاية الإفصاح عن معان زائدة؛ فلا تكون مجرد حِلية لفظية كما هو في الشعر، وقد عرّفت الفاصلة القرآنية بأنها:" كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[(3)].

اشتملت سورة الضحى على ثلاث فواصل وهي : (الألف كـ: سجى) (والراء ك : فلا تقهر) والثاء في (فحدث) وسأذكر بإذن الله هنا ما يتعلق بالفاصلة الأولى لكون مطلع السور الكريمة قد جاء بها.

ذكرنا في الدلالة السياقية الغرض الذي سيقت لأجله سورة الضحى وذكرنا سبب نزول السورة في التوطئة والتمهيد فهي بمثابة تلية وتسرية وتثبيت لقلب النبي ﷺ، "والمعنى الدلالي للجرس المدي لـ (الألف) مناسب تماما لمقام تطمين النبي ﷺ بعد مدة الوحي، وإخباره بعدم التوديع أو القلى، ولم

---

[1] - إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص46.

[2] - نادية رمضان النجار، **الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها**، (نشر بكتاب المؤتمر العلمي التاسع لكلية دار العلوم:حلوان،مصر، عام 2003م) ص3.

[3] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376 هـ - 1957 م ، ط1، ج1:، ص:53.

يكن هناك ماهو أنسب من صوت الألف ليكون فاصلة وجاء اختياره دون أصوات المدّ الآخر[1] لعذوبته ورقته التي ناسبت الألفاظ الرقيقة المختارة في (الضحى، سجى، قلى...) ذات الجرس الهادىء ، فالألف هو الصوت الذي يمثل الوضوح السمعي الأعلى في أصوات العربية لامتداده وهو السرّ في اختيار (الضحى) قَسَماً؛ فدلالة الوضوح والظهور هي الملحوظة في كل الاستعمالات الحسية للمادّة (ضحى)"[2] كما ذكرنا في الدلالة المعجمية للفظة.

"ونلمح الهدوء والسكينة البادية في نغمات الرحمة الواسعة والمنبعثة من التلاؤم والتآلف وإيقاع الفواصل ويشع من الإيقاع الهادىء الناعم لمسات الحنان والرحمة الإلهية، وجاء القسم بالضحى الرائق الصافي كما جاء بالليل في هدأته وسكونه وصفوه بما يشعر بالتواصل بين الكون والذات فتنتفي الوحشة ويتأكد الأنس والمؤانسة، وتؤكد الآيات رعاية الله لمحمد ﷺ وادخاره الخير له وغلبته على أعدائه.

إن الفواصل في الآيات فيها تمهل واستقرار ويغلب عليها التساوي في الوزن والتوازن في الإيقاع، ومن الملاحظ على الفواصل أن كاف الخطاب قد حذفت وكان من مراعاة السياق ذكرها، وجاء حذف الكاف لدلالتين متمازجتين كل التمازج وكان الحذف متلائما مع المعنى المراد؛ فالدلالة الأولى: دلالة صوتية تحفل بالرنين الهادىء الآخذ بالنفس وهذا ناتج عن رعاية الفواصل في إيقاعها المتواصل بحيث يتوالى حرف المد بفيضه الشعوري وتعاليه النفسي[3].

ثانيا: صفات الحروف :

إذا تأملنا صفات حروف الكلمة الأولى في السورة والتي سميت السورة بها نجدها قد اشتملت على حرف الضاد وهو حرف استثنائي في اللغات كلها؛ بل استثنائي في العربية ذاتها حتى غدا شعارا سميت به؛ كما يتصف بصفات منها: الجهر- الرخاوة- الاستعلاء-والإطباق.

ولعل هذه الصفات تلقي بظلالها على المعنى المراد، فكأننا نلمس في صفة الجهر والاستعلاء والإطباق وضوح نور الضحى في ذلك الوقت من النهار الذي هو صدره حين تعلو أشعة الشمس فتطبق بضوئها على الأرض دون حرارة مؤذية والذي عُبرّ عنه تارة بـ: ضوء الشمس في شباب النهار، وتارة بالنهار في شبيبته، ولعلنا نلمس في صفة الرخاوة معنى اللطف والحنان الذي اشتمل عليه

---

[1] كثيرا ما ارتبط الواو وحركته (الضمة) بمعنى القوة والياء وحركته الكسرة بمعنى الصعف والرقة. انظر: عامر مهدي صالح، وعبد الكريم محمود، **مظاهر أسلوبية في إجراءات تفسير سورة الضحى**، مجلة ديالي، ع.43، 2010، ص440.

[2] المرجع السابق.

[3] محمد قطب عبد العال، **من جماليات التصوير الفني في القرآن**،http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1326688356fix3sub2file.htm

معنى المقسم به وهو الضحى على المقسم عليه وهو غاية اللطف به ونفي الترك والتوديع والقلى عنه ﷺ، والله تعالى أعلم[1].

وفي لفظة (سجى):

نلاحظ حرف السين الذي يمتاز بصفة الهمس، والرخاوة، والاستفال، وقد ترتبط معاني هذه الصفات بمعنى وارد في اللفظة، قال المفسرون: هو وقت من آخر الليل حيث كان يقوم النبي ﷺ لربه فيه، ويتناسب ذلك تماما مع صفة الهمس فكما يناجي العبد ربه مناجاة أقرب إلى الهمس من الكلام كذلك جاء الحرف في هذه اللفظة ليلقي ظلالا منه على المعنى، ولا يخفى ما في صفة الاستفال والرخاوة من التواضع والذل الذي ينبغي أن يتلبس به العبد حال مناجاته لربه سبحانه وتعالى.

المحور السادس: الدلالة النفسية:

ذكرت فيما مضى من البحث أنه قد عرفت الدلالة النفسية بأنها تلك الملامح والإشارات التي تنعكس على النفس الإنسانية فتحدث فيها استجابة معينة نتيجة التأثر بالتعبير القرآني[(2)]، وقد زخرت سورة الضحى بمجموعة من الدلالات النفسية الرائقة منها:

أولا: الدلالة النفسية لمطلع سورة الضحى:

لاشك أن في مطلع سورة الضحى واستهلاله بالقسم بالضحى والليل حال سكونه بمثابة عنواها، ومن العنوان نلمح إشارات إلى الموضوع والمحور، ولعل الله تعالى قد اختار الاستهلال بهذا القسم، وهو وقت الضحى المعروف دون باقي أوقات النهار لحكمة بالغة منها:

لما في هذا الوقت من تألق لضوء النهار وشفافيته ونقاءه، وشدة حركة الناس وأخذهم وعطائهم وتفاعلهم مع أحداث الحياة يدل ذلك على بشرى بعودة الوحي وتألقه واستمراره بعد مدّته، فأتى الاسم متناسبا مع الموضوع والمحور الرئيسي للسورة وهو تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتبشيره ؛كما أن الاسم يتناسب مع معاني الرحمة واللطف والحنان والعطاء المبثوثة في أرجاء السورة الكريمة.

إن مطلع السورة يحمل في طياته كثيرا من الأمل والتفاؤل والفرحة، والإشراقات الروحية والنفسية التي تلقي بظلالها على أنحاء السورة كافة.

---

[1] هذه الدلالة من اجتهاد الباحثة.

[2] عبد الله محمد الجيوسي، **التعبير القرآني والدلالة النفسية**، ص42.

والبقاعي رحمه الله حين فسر المناسبة بين اسم السورة وموضوعها قال:" فذكر ما هو أشرف النهار وألطفه وهو زهرته، وأضوؤه وهو صدره، وذلك وقت ارتفاع الشمس لأن المقسم لأجله أشرف الخلائق وذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد من الخلق."[1] فانظر إلى تناسب القسم بما أقسم لأجله وتلك لفتة بديعة منه رحمه الله، كما لفتني تعبير الشيخ محمد عبده في تفسيره للفظة الضحى حيث قال : "هو ضوء الشمس في شباب النهار" [2].

نجد أن البقاعي رحمه الله قد شبه النهار بمراحل عمر الإنسان الذي من مراحله الطفولة والصبا والشباب والكهولة، واختار للضحى وقت الشباب في حياة الإنسان وتلك لفتة لطيفة منه رحمه الله.

ثانيا : الدلالة النفسية للتقابل بين آيات الكون المنظور وكتاب الله المسطور:

حين نتأمل المقابلة بين لفظتي الضحى والليل ومعنى نفي التوديع والقِلى عنه ﷺ نجد تناسقا عجيبا بين مدلولات الألفاظ المختلفة في السورة، فبين مدلول الضحى وهو الضياء والظهور، ومدلول الليل وهو السواد والسكون، ومدلولهما معا وهو تناوبهما في سنة مطردة غير متغيرة ولا متحولة، قابل ذلك سبحانه بصورة معنوية وهي انقطاع الوحي عنه ﷺ واستدل بالصورة الحسية المشاهدة الملموسة في كل يوم لنفي ذلك المعنى الطارىء وتقرير معنى حقيقي مفاده هو أن استمرار الوحي وانقطاعه لمدة إنما هو وفق السنن المطرة في الكون وفي ذلك مافيه من معنى التصالح مع الكون ومع الذات إن صح التعبير .

[1] انظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج22، ص101.

[2] محمد عبده، **تفسير جزء عم**، ص 112.

الخاتمة :

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد :

فإن كلام الله تعالى بحر لا ساحل له، لا تنقضي عجائبة، ولا يخلق على كثرة الرد، معينه صافٍ يرتاده العِطاش من كل حدبٍ وصوب فيجد كلٌ ضالته ، وقد يممت شطره وجدفت في بحره قاصدة درّة من دُرره وسورة من سوره متساءلة عما يمكن أن تحويه من دلالات وضعتها ضمن خطتي التي رسمتها للبحث وكنت أحسبها معدودة لكونها من قصار السور؛ إلا إني ألفيت السورة لؤلؤة في القاع ساكنة، التمست بعضا من بريقها ولئلائها ما استطعت؛ ولم يسعني الوقت ولا الجهد إلا أن أُدِر ظهري مجدفةً نحو الشاطىء مرة أخرى ولازال في عقلي مزيد من الفِكَر، وفي قلبي تعلق وأمل بأن يأذن الله تعالى بالعودة مرة أخرى لأنهل المزيد .

وفي خاتمتها يطيب لي أن أذكر طرفا من حكمها وعبرها وما انتهيت إليه من نتائج تتلخص في عرضي لطرف من دلالات سورة الضحى وهي كثيرة لكنني ذكرت بعضا منها على سبيل الإلماح فمالايدرك كله لايترك جله، وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

1- بيان أهمية علم المعنى (الدلالة) (علم المعنى) بفروعه في استنباط الدلالات المختلفة التي بينتها الآيات الكريمة، ولفهم أي نص، وبالأحرى القرآن الكريم، إذ مؤداه الفهم عن الله تعالى والمراد من كلامه واستأنس في هذا المقام بقول الدكتور فاضل السامرائي: "ويبقى القرآن مفتوحا للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجد من جديد، وسيجد فيه أجيال المستقبل ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال"[1].

2- سورة الضحى محكمة، ولا ناسخ فيها ولا منسوخ، قال المقري: " نزلت بمكة في شأن رسل المشركين إلى اليهود وفي ترك رسول الله (ﷺ) الاستثناء وجميعها محكم وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.[2]

3- إن دلالات سورة الضحى أكثر من أن تحصى في بحث محدود ، ولكن احتوى البحث على إلماحات منها.

---

[1]- فاضل السامرائي، **لمسات بيانية في نصوص التنزيل**، ص5.

[2]المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة، **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1404 هـ، ج1، ص 199.

4- أشارت السورة الكريمة إلى أهمية الخطاب والتفكير الإيجابي من خلال مانلمح في الإقسام بآيات الله الكونية المتمثلة في التناوب بين الضحى ونوره الرقراق، وهدأة الليل وسكونه من ضرورة التفكير الإيجابي والنظر إلى المستقبل نظرة أمل وتفاؤل.

5- من نتائج البحث أن لفظة سجى تعد فريدة من فرائد[1] القرآن الكريم ومن معانيها كما ذكرت سابقا الانقطاع والسكون والركود والتغطية، ولقد جيء بالفعل منها في سياق القسم بالليل وسكونه ، هذا القسم الذي أكد على نفي التوديع والبغض عن النبي ﷺ كما ادعى بعض أعداءه – حاشاه ﷺ- ، وأشار إلى أن الانقطاع ما هو إلا فتور مؤقت لا يلبث أن يعود الوحي بعده، شأنه شأن سائر الكون في سننه،كل تلك المعاني أشار اليها الفعل سجى، والتي لم تكن تتأتي لو عبر بأفعال أخرى اقترنت بالليل في مواضع أخرى من القرآن الكريم ك(وقب، غسق، ويغشى) ، فتلك جميعها تدل على الحركة وليست تتناسب مع القسم هنا، وعليه فإن القسم بالضحى والليل إذا سجى هو أنسب قسم للدلالة التي هو فيها من فتور الوحي وانقطاعه وكل قسم في القرآن له علاقة بالمقسم به"[2].

6- توصل البحث إلى أهمية الدلالة الصوتية التي بينت مكانة كل حرف ولفظ وتركيب جيء به في الآيات لدلالة مقصودة بعينها لا يمكن التوصل إليها في حال أبدلت بأخرى ، وأن مجموع كل ذلك مع إيقاع الفواصل القرآنية وانسجامها مع المعنى يؤدي لدى القارىء تأثيرا وجدانيا ما كان ليحدث لو استخدم غيرها في الموضع ذاته ولا سد مسدها، ولعله يحسن استحضار قول ابن عطية رحمه الله حين قال: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[(3)].

---

[1] الفريد في اللغة هو الذي لانظير له، وفي الاصطلاح: هي تلك الألفاظ التي اكتسبت صفة الفردية لكونها وردت في موضعها من القرآن متعلقة بما قبلها وما بعدها تعلقا بحيث لا يغنى غيرها غناءها في موضعها، بحيث لو سقطت لعز على الفصحاء الإتيان بمثلها، كما أنها تفردت بورودها في القرآن مرة واحدة فقط ولم تتكرر لا جذرا ولا اشتقاق ولا سياقا. انظر: السيد محمد سالم، من **بلاغة الفرائد الفذّة في القرآن الكريم**، مجلة جامعة المدينة العالمية، ع.2014، ص 568 بتصرف كبير.

[2] انظر: السيد محمد سالم، من **بلاغة الفرائد الفذّة في القرآن الكريم**، مجلة جامعة المدينة العالمية، ع. 2014، ص 568 بتصرف كبير.

[3] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1422 هـ، ط1، ج:1، ص: 237. ج1، ص 52

وبذا أكون قد وصلت إلى نهاية البحث وما انتهى ؛ فإن مطلع السورة ثري بمعانيه ودلالته مترامية الأطراف ومراداته بعيدة المنال، وهكذا هو حال القرآن أو هو حالنا مع القرآن، وحسبي أني اجتهدت بما منّ الله به عليّ بكرمه وجوده وفضله،أسأله تعالى أن يتقبل مني قصدي ونيتي وما وفقني إليه من صواب، وأن يغفر لي سهوي وخطأي وزللي إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أهم التوصيات :

تبين من خلال هذا البحث أهمية علم الدلالة في بيان معاني القرآن الكريم ، وهو باب من أبواب علم التفسير لايزال في فتوته وشبابه يحتاج إلى سواعد قوية وجهود كبيرة لاستنباط دلالات الكتاب المجيد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادروالمراجع

01- إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، د.ت.

02- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1415، 1994م .

03- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، د.ت.

04- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، 1987م .

05- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيزفي تفسيرالكتاب العزيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية، 1422 بيروت-لبنان، ط.1، 1422هـ

06- ابن قتيبة، **غريب القرآن**، ت: سعيد اللحام،(د:ط)، دت.

07- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني،**سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي، د.ت.

08- ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم بن على، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت-لبنان، ط.3، 1414 هـ.

09- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل،دار الفكر، بيروت-لبنان، 1420 هـ.

10- أحمد بن حنبل، **مسند الإمام**، ت: شعيب الأرنؤوط، إشراف عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، القاهرة-مصر، ط.1، 2001.

11- الآلوسي، **روح المعاني**، محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسيرالقرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، 1415 بيروت-لبنان، ط.1، 1415هـ . هـ

12- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير-سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998م .

13- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط.1، 1422هـ - 2002 .

14- جامعة الشارقة، **التفسيرالموضوعي**، نخبة من العلماء بإشراف د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، كلية الدراسات الإسلامية، 1431-2010م .

15- الزركشي بدر الدين محمد بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط.1، 1376 هـ - 1957 م .

16- الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط3، 1407هـ

17- الطبري محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ - 2000 م .

18- عائشة عبد الرحمن، **التفسيرالبياني للقرآن الكريم**، دار المعارف، ط.4، 1960م .

19- عبد الفتاح محمود المثنى، **نظرية السياق القرآني**، دار وائل، الأردن، 2008م .

20- عبد الله محمد الجيوسي، **التعبيرالقرآني والدلالة النفسية**، دار الغوثاني، دمشق-سوريا، ط.1، 1426هـ-2006م .

21- فاضل السامرائي، **لمسات بيانية في نصوص التنزيل**، دار عمار، عمان-الأردن، ط.3، 1423-2003) .

22- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر، د.ت.

23- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، د.ت.

24- القاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة ودار التراث، القاهرة-مصر، د.ت.

25- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط.2، 1384هـ- 1964 م) .

26- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.

27- محمد عبده، **تفسير جزء عم**، مكتبة مصر، القاهرة-مصر، د.ت.

28- محمد قطب عبد العال، **من جماليات التصوير الفني في القرآن**-http://www.darululoom deoband.com/arabic/magazine/tmp/1326688356fix3sub2file.htm ،

29- المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة، **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط.1، 1404 هـ.

30- نادية رمضان النجار، الدلالة **الصوتية والصرفية في سورة يوسف في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها**، نشر بكتاب المؤتمر العلمي التاسع لكلية دار العلوم، حلوان-مصر، عام 2003م.

31- النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت-لبنان، ط.1، 1416 هـ.

32- السيد محمد سالم، من بلاغة الفرائد الفذّة في القرآن الكريم، مجلة جامعة المدينة العالمية، ع.2014.

33- عامر مهدي صالح، وعبد الكريم محمود، مظاهر أسلوبية في إجراءات تفسير سورة الضحى، مجلة ديالي، ع. 43، 2010.

34- عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير (دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير)، رسالة ماجستير، إشراف: د. خالد بن عبد الله القرشي، جامعة أم القرى، 1429- 2008م